

حق اليتيم في الشريعة الإسلامية

عناصر الخطبة:

معنى كفالة الأيتام

حقوق وضوابط وفضائل في كفالة اليتيم

صور مشرقة في كفالة الأيتام

الوسائل المعينة على كفالة الأيتام

صور مهمة في كفالة الأيتام

أخطاء شائعة حول كفالة الأيتام

التفصيل

معنى كفالة الأيتام:

هي ضم اليتيم الذي مات عنه أبوه وهو صغير لم يبلغ الحلم، والإنفاق عليه والقيام بمصالحه وشئونه

ويستمر وصفه باليتيم حتى يبلغ الحلم لقوله ﷺ: (لا يتم بعد الاحتلام).^(١) قال الحافظ ابن حجر:

وكافل اليتيم أي القيم بأمره ومصالحه.^(٢)

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: الْيَتِيمُ فِي الْأَدَمِيِّينَ مَنْ فَقَدَ أَبَاهُ؛ لِأَنَّ أَبَاهُ هُوَ الَّذِي يُهْدِيهِ؛ وَيَرْزُقُهُ؛

وَيَنْصُرُهُ؛ بِمُوجِبِ الطَّبَعِ الْمَخْلُوقِ؛ وَلِهَذَا كَانَ تَابِعًا فِي الدِّينِ لِوَالِدِهِ؛ وَكَانَ نَفَقَتُهُ عَلَيْهِ وَحَضَانَتُهُ عَلَيْهِ

وَالْإِنْفَاقُ هُوَ الرِّزْقُ. وَ " الْحَضَانَةُ " هِيَ النَّصْرُ لِأَنَّهَا الْإِبْوَاءُ وَدَفْعُ الْأَذَى. فَإِذَا عُدِمَ أَبُوهُ طَمَعَتْ

النُّفُوسُ فِيهِ؛ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ ظَلُومٌ جَهُولٌ وَالْمُظْلُومُ عَاجِزٌ ضَعِيفٌ فَتَقْوَى جِهَةٌ الْفَسَادِ مِنْ جِهَةِ قُوَّةِ

الْمُقْتَضَى وَمِنْ جِهَةِ ضَعْفِ الْمَانِعِ وَيَتَوَلَّدُ عَنْهُ فَسَادَانِ: ضَرَرُ الْيَتِيمِ؛ الَّذِي لَا دَافِعَ عَنْهُ وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِ

وَفُجُورُ الْأَدَمِيِّ الَّذِي لَا وَازَعَ لَهُ. فَلِهَذَا أَعْظَمَ اللَّهُ أَمْرَ الْيَتَامَى فِي كِتَابِهِ فِي آيَاتٍ كَثِيرَةٍ.^(٣)

(١) أخرجه أبو داود (٢٨٧٣)، وصححه الألباني في الصحيحة برقم (٣١٨٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٤٥١/١٠).

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠٨/٣٤).

حقوق وضوابط وفضائل في كفالة اليتيم

١- أمرنا الله تعالى بالإحسان القولي والفعلية إلى اليتامى قال تعالى: {وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا} [النساء: ٣٦].

٢- أمرنا الله تعالى بمراعاة الجانب النفسي لليتامى بلين الكلام لهم وعدم قهرهم والابتسامه في وجوههم وبذل المعروف والندى إليهم والتلطف بهم وإكرامهم قال تعالى: {وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا} [الكهف: ٨٢]، وقال تعالى: {كَأَلَّا بَلًا لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ} [الفجر: ١٧]، وقال تعالى: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} [الضحى: ٩]، وقال تعالى: {أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالذِّينِ * فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ} [الماعون: ١، ٢].

قال القرطبي: أي لا تسلط عليه بالظلم، ادفع إليه حقه، واذكر يتمك. (٤)

قال الشيخ السعدي: {فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ} أي: لا تسيء معاملة اليتيم، ولا يضق صدرك عليه، ولا تنهره، بل أكرمه، وأعطه ما تيسر، واصنع به كما تحب أن يصنع بولدك من بعدك. (٥)

٣- أمرنا الله تعالى بحفظ أموال الأيتام، وعدم التعرض لها بسوء، وعد ذلك من كبائر الذنوب وعظائم الأمور، ورتب عليه أشد العقاب، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا} [النساء: ١٠]

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٣٤٧/٢٢).

(٥) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (٩٢٨/١).

وقال تعالى: {وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا} [الإسراء: ٣٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: (اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشَّرْكَ بِاللَّهِ وَالسَّحْرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالتَّوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْغَافِلَاتِ). (٦)

قال السعدي في قوله تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا } شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامى، خوفا على أنفسهم من تناولها، ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها، وسألوا النبي ﷺ عن ذلك، فأخبرهم تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى، بحفظها وصيانتها، والاتجار فيها وأن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى، لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه، والمرجع في ذلك إلى النية والعمل، فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله، فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس، ومن علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها، فذلك الذي حرج وأثم، والوسائل لها أحكام المقاصد. (٧)

٤- أمرنا الله تعالى بالنفقة على اليتامى والشفقة والرحمة بهم وبين سبحانه أن هذه الأعمال من أعظم أعمال البر والخير والإحسان قال تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ

(٦) أخرجه البخاري (٢٧٦٦)، ومسلم (٨٩).

(٧) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/٩٩).

وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ { [البقرة: ١٧٧]
وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى
وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢١٥]

قال الشيخ السعدي: ذكر المنفق عليهم، وهم أولى الناس ببرك وإحسانك. من الأقارب الذين تتوجع لمصابهم، وتفرح بسرورهم، الذين يتناصرون ويتعاقلون، فمن أحسن البر وأوفقه، تعاهد الأقارب بالإحسان المالي والقولي، على حسب قربهم وحاجتهم. ومن اليتامى الذين لا كاسب لهم، وليس لهم قوة يستغنون بها، وهذا من رحمته [تعالى] بالعباد، الدالة على أنه تعالى أرحم بهم من الوالد بولده، فالله قد أوصى العباد، وفرض عليهم في أموالهم، الإحسان إلى من فقد آباؤهم ليصيروا كمن لم يفقد والديه، ولأن الجزء من جنس العمل فمن رحم يتييم غيره، رُحِمَ يتييمه. (٨)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمَسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلِ الصَّائِمِ النَّهَارِ). (٩)

قال ابن بطال: من عجز عن الجهاد في سبيل الله وعن قيام الليل وصيام النهار، فليعمل بهذا الحديث وليسع على الأرمال والمسكين ليحشر يوم القيامة في جملة المجاهدين في سبيل الله دون أن يخطو في ذلك خطوة، أو ينفق درهماً، أو يلقي عدواً يرتاع بلقائه، أو ليحشر في زمرة الصائمين والقائمين وينال

(٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/٨٣).

(٩) أخرجه البخاري (٥٣٥٣)، ومسلم (٢٩٨٢).

درجتهم وهو طاعم نهاره نائم ليله أيام حياته، فينبغي لكل مؤمن أن يحرص على هذه التجارة التي لا تبور، ويسعى على أرملة أو مسكين لوجه الله تعالى في فريح في تجارته درجات المجاهدين والصائمين والقائمين من غير تعب ولا نصب، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. (١٠)

٥- أمرنا الله تعالى بالمحافظة على أموال اليتامى ودفع المضار عنهم وعن أموالهم والسعي في إصلاح أحوالهم والإقساط إليهم وعدم ظلمهم قال تعالى: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَاخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَبْتُمْ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ} [البقرة: ٢٢٠]، وقال تعالى: {وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا} [النساء: ٢]، وقال تعالى: {وَابْتَلُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا} [النساء: ٦]

قال الشيخ السعدي - رحمه الله - : { وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا } هذا أول ما أوصى به من حقوق الخلق في هذه السورة. وهم اليتامى الذين فقدوا آباءهم الكافرين لهم، وهم صغار ضعاف لا يقومون بمصالحهم. فأمر الرؤوف الرحيم عباده أن يحسنوا إليهم، وأن لا يقربوا أموالهم إلا بالتي هي أحسن، وأن يؤتوهم أموالهم إذا بلغوا ورشدوا، كاملة موفرة، وأن لا { تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ } الذي هو أكل مال اليتيم بغير حق. { بِالطَّيِّبِ } وهو الحلال الذي ما فيه حرج ولا تبعة. { وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ } أي: مع أموالكم، ففيه تنبيه لقبح أكل مالهم بهذه الحالة، التي قد استغنى بها الإنسان بما جعل الله له من الرزق

(١٠) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٨/٩).

في ماله. فمن تجرأ على هذه الحالة، فقد أتى { حُوبًا كَبِيرًا } أي: إثماً عظيماً، ووزراً جسيماً. ومن استبدال الخبيث بالطيب أن يأخذ الولي من مال اليتيم النفيس، ويجعل بدله من ماله الخسيس. وفيه الولاية على اليتيم، لأن من لازم إيتاء اليتيم ماله، ثبوت ولاية المؤتي على ماله. وفيه الأمر بإصلاح مال اليتيم، لأن تمام إيتائه ماله حفظه والقيام به بما يصلحه وينميه وعدم تعريضه للمخاوف والأخطار. (١١)

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي فَقِيرٌ لَيْسَ لِي شَيْءٌ وَلِي يَتِيمٌ قَالَ: (كُلُّ مَنْ مَالَ يَتِيمِكَ غَيْرَ مُسْرِفٍ وَلَا مُبَادِرٍ وَلَا مُتَأْتِلٍ). (١٢)

٦- كفالة اليتيم سبب من أسباب مرافقة النبي ﷺ في الجنة:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدِ السَّاعِدِيِّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَأَنَا وَكَافِلُ الْيَتِيمِ فِي الْجَنَّةِ هَكَذَا وَأَشَارَ بِالسَّبَابَةِ وَالْوَسْطَى وَفَرَّجَ بَيْنَهُمَا شَيْئًا). (١٣)

قال ابن بطال - رحمه الله - : حق على كل مؤمن يسمع هذا الحديث أن يرغب في العمل به ليكون في الجنة رفيقاً للنبي عليه السلام ولجماعة النبيين والمرسلين - صلوات الله عليهم أجمعين - ولا منزلة عند الله في الآخرة أفضل من مرافقة الأنبياء. (١٤)

(١١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي (١/١٦٣).

(١٢) أخرجه أبو داود (٢٨٧٢)، وابن ماجه (٢٧١٨)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٤٤٩٧).

(١٣) أخرجه البخاري (٥٣٠٤) ومسلم (٢٩٨٣).

(١٤) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢١٧/٩).

٧- الرحمة والشفقة باليتيم سبيل إلى إصلاح القلب وتليينه ولو بالعمل اليسير وفيها إرضاء للرب جل وعلا: عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أَنَّ رَجُلًا شَكَاَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَسَوَّاهُ قَلْبَهُ فَقَالَ لَهُ: (إِنْ أَرَدْتَ تَلْيِينَ قَلْبِكَ فَأَطْعِمِ الْمَسْكِينَ وَامْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ). (١٥)

٨- بين النبي ﷺ أن كفالة الأيتام وتقريبهم والقيام على مؤنتهم وما يحتاجونه سبيل إلى دخول الجنة والنجاة من النار: عن مالك بن الحارث -رضي الله عنه- قال: النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: (مَنْ ضَمَّ يَتِيمًا بَيْنَ أَبْوَيْنِ مُسْلِمَيْنِ إِلَى طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ حَتَّى يَسْتَعْنِيَ عَنْهُ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ وَمَنْ أَعْتَقَ امْرَأً مُسْلِمًا كَانَ فِكَاهُهُ مِنَ النَّارِ يُجْزَى بِكُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ عَضْوًا مِنْهُ). (١٦)

٩- كفالة اليتيم تساهم في بناء مجتمع سليم خالٍ من الحقد والكراهية وتسود فيه روح المحبة والمودة كما في حديث النعمان بن بشير -رضي الله عنه- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ((تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاحِمِهِمْ وَتَوَادُّهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى عَضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ جَسَدِهِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى)). (١٧)

١٠- في كفالة اليتيم حفظ لذريتك من بعدك وقيام الآخرين بالإحسان إلى أيتامك قال تعالى: { وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا } [النساء: ٩]، فكافل اليتيم اليوم إنما يعمل لنفسه لو ترك ذرية ضعافاً، فكما تُحسن إلى اليتيم اليوم يُحسن إلى أيتامك في الغد، وكما تدين تدان.

(١٥) - أخرجه أحمد (٧٥٧٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة برقم (٨٥٤).

(١٦) - أخرجه أحمد (٢٠٣٣١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب برقم (١٨٩٥).

(١٧) - أخرجه البخاري (٦٠١١).

صور مشرقة في كفالة الأيتام:

كفالة نبي الله زكريا لمريم عليها السلام:

قال الله تعالى عن مريم عليها السلام: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ﴾ [آل عمران: ٣٧].

قال ابن كثير: "أي: جعله كافلاً لها، قال ابن إسحاق: وما ذلك إلا أنها كانت يتيمة"، ثم قال - أي: ابن كثير -: "وإنما قدر الله كون زكريا كفلاً لسعادتها؛ لتقتبس منه علماً جماً نافعاً، وعملاً صالحاً. . . ولأنه كان زوج خالتها - على ما ذكره ابن إسحاق وابن جرير وغيرهما - وقيل: زوج أختها - كما ورد في الصحيح -: ((فإذا يحيى وعيسى، وهما ابنا الخالة)). (١٨)

ونجد في الآية الأخرى في السورة نفسها، وفي السياق نفسه، صورة رائعة لمجموعة من أهل الخير، يتسابقون فيما بينهم على كفالة يتيمتهم مريم بنت عمران؛ يقول - تعالى -: ﴿ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَفَلَا مَهْمُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٤٤]، فقد كان كل واحد منهم يطمع في أن يفوز برعايتها، ولم يجدوا بداً من الاقتراع فيما بينهم، وإلقاء أقلامهم في نهر الأردن أيهم يفوز بهذا الشرف العظيم؛ ألا وهو كفالة اليتيمة، حتى فاز بذلك نبي الله زكريا - عليه السلام.

كفالة النبي ﷺ للأيتام:

مما يضع البلسم على جراح الأيتام في المجتمع المسلم، أن نبينا ﷺ أرادَه ربه - عزَّ وجلَّ - أن ينشأ يتيماً، غير أنه حاز الكمال في التربية برعاية ربه له، والذي خاطبه - سبحانه - في معرض المنِّ والتذكير بالنعمة في قوله - تعالى -: ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى ﴾ [الضحى: ٦]، متنقلاً بين حنان الأم الذي لم يدم

(١٨) - تفسير ابن كثير (٣٥/٢)

سوى ستّ سنوات من عمره المبارك، وبين رعاية الجد عبدالمطلب، التي لم تدم بعدُ سوى عامين، ثم كفالة عمّه أبي طالب، حتّى شبَّ عن الطوق، ودخل في سن الشباب ﷺ وكان كلُّ ذلك بتدبيرٍ من العليم الحكيم، ليُعَلِّمه حقَّ اليتيم

فعلم من ذلك الفضل في هذا فكان من صفاته كما قالت خديجة رضي الله عنها للنبي ﷺ معددة الصفات العظيمة التي جبل عليها عليه الصلاة والسلام قبل البعثة: "كلا والله ما ينجزيك الله أبداً؛ إنك لتصل الرحم، وتحمل الكلّ، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق" (١٩) ومعنى "تحمل الكل": تكفل اليتيم.

وكان الصحابة أعلم الناس بفضل إكرام اليتيم فلذلك كانوا أحرص الناس على ذلك، وإليك بعض الأمثلة:

١- عن الحسن أن ابن عمر رضي الله عنهما كان إذا تغدى أو تعشى دعا من حوله من اليتامى، فتغدى ذات يوم فأرسل إلى يتييم فلم يجده؛ وكانت له سويقة محلاة يشربها بعد غدائه، فجاء اليتيم وقد فرغوا من الغداء، وبيده السويقة ليشربها، فناولها إياه وقال: خذها فما أراك غبنت. (٢٠)

وكان حكيم بن حزام لا يأكل طعاما وحده إذا أتى بطعامه قدره فإن كان يكفي اثنين أو ثلاثة أو أكثر من ذلك قال ادعوا من أيتام قريش واحدا أو اثنين على قدر طعامه. (٢١)

(١٩) - أخرجه البخاري (٣) ومسلم (٢٥٢)

(٢٠) - حلية الأولياء لأبي نعيم (٢٩٩/١)

(٢١) - تاريخ دمشق لابن عساكر (١٥/١٢٢)

فهذه أمثلة تدل على حرص الصحابة والصحابيات على إكرام اليتيم وكفالاته؛ وهم من يُقتدى بهم رضوان الله عنهم أجمعين.

الوسائل المعينة على كفالة الأيتام:

- ١- محبة الله تعالى والسعي في بذل الأسباب التي بها تستجلب محبة الله ومنها كفالة الأيتام.
 - ٢- محبة النبي ﷺ والرغبة في القرب منه ومجاورته في الجنة.
 - ٣- قراءة القرآن الكريم بتدبر لا سيما الآيات التي وردت في شأن الأيتام وحسن رعايتهم.
 - ٤- استشعار المسؤولية تجاه الأيتام وضرورة العناية بهم.
 - ٥- حب الخير للناس ولا سيما الضعفة والمحتاجين والأيتام.
 - ٦- إنشاء الدور والمؤسسات التي تقوم برعاية الأيتام وكفالتهم.
 - ٧- توعية المجتمع بضرورة وأهمية كفالة الأيتام عن طريق الوسائل المختلفة.
- صور مهمة في كفالة الأيتام:

الكفالة نوعان:

١- الكفالة الهادية مثل:

- ١- إنشاء مشاريع للإغاثة الطارئة لأسر الأيتام للتخفيف من الوضع الاقتصادي.
- ٢- دعم مشروعات كفالات الأيتام والرعاية الشاملة لليتيم.
- ٣- دعم مشروعات تمويل المشاريع الصغيرة لأسر الأيتام.
- ٤- تأمين مراكز متخصصة لإيواء الأيتام.
- ٥- تنفيذ مشروعات كفالة تعليم الأيتام في المدارس والجامعات.
- ٦- دعم مشروعات تشغيل الأيتام بعد بلوغ سن الرشد.

طاحون

٢- الكفالة المعنوية مثل:

- ١- الرحمة والشفقة بهم والابتسام في وجوههم ومداعبتهم لإدخال السعادة عليهم.
 - ٢- زيارة الأيتام في منازلهم سواء كانت منازلهم الخاصة أو المراكز المتخصصة لإيوائهم.
 - ٣- الخروج معهم إلى المنتزهات والرحلات التي تكون سبيل إلى اختلاطهم بالمجتمع من جهة وترفيهم من جهة أخرى.
 - ٤- تعليمهم الأخلاق الإسلامية والآداب النبوية وتحفيظهم القرآن والسنة.
 - ٥- تعليمهم أحكام الطهارة والصلاة.
 - ٦- الاعتناء بالقائمين على الذين يقومون على أمور اليتامى بالتعليم والتدريس وذلك بإعداد الدورات العلمية والأخلاقية وكيفية إدخال السرور عليهم (صفات المربي).
- أخطاء شائعة حول كفالة الأيتام:
- ومن المفاهيم الخاطئة أن كفالة اليتيم تقتصر على الاهتمام الهادي به فقط، ولكن الإسلام يرتقي بهذه المهمة من دركات الهاديات والحسيات إلى درجات المعنويات والمعاملة السامية، فيأمر بإصلاحهم، ويحض على مخالطتهم وإشراكهم في المجتمع، ذلك أن العزلة لها آثارها الخطيرة على نفسية الطفل، خاصة إذا كان يعاني من هذه الحساسية التي يعاني منها من فقد أحب الناس إليه، حيث يقول تعالي في معرض حديثه عن منظومة القيم الأسرية والاجتماعية: (ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير وإن تخالطوهم فإخوانكم)، وليعلم كافل اليتيم أن إكرام اليتيم يكون بقدر مخالطته للمجتمع واندماجه فيه. وليعلم الكثير أن هناك أيتاماً أغنياء، لكنهم يحتاجون لكفالة وإكرام معنوي، والذي ذكرناه في الصور المعنوية السابقة

والحمد لله رب العالمين